الهجرة في سبيل الله دوافعها وأحكامها وفضائلها

كتبه غريب الديار بتاريخ الخميس ٢٢ جمادى الآخرة ١٤٤٢

رأينا في المقال السابق قلب إبراهيم السليم النابض بتسفيه الكفار وتقريعهم, واليوم سوف نقف مع محطة فارقة في حياة إبراهيم صلى اللّه عليه وسلم, ألا وهي الهجرة في سبيل اللّه.

سوف نعرف بإذن اللّه ما هي الهجرة في سبيل وما هي أسبابها وأحكامها وفضائلها وذلك من خلال المحاور التالية:

- ما هي الهجرة في سبيل اللّه
- ما هي الدوافع للهجرة في سبيل اللّه وأحكامها
  - نصرة الدين والدعوة إليه
  - إقامة الدين
- فضائل الهجرة في سبيل اللّه
  - المنعة والسعة
  - الرحمة والمغفرة
  - الجنة والفوز العظيم

ما هي الهجرة في سبيل الله

الهجرة من الهجر وهو عكس الوصل, ومعناها هجر أرض يقطنها المرء إلى أخرى.

والهجرة في سبيل اللّه هي التي تكون لله ورسوله صلى اللّه عليه وسلم, أي أنها ليست لغرض دنيوي, وإنما فعلت بسبب الدين إما لنصرته أو لإقامته كما سوف نرى

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم في الحديث الشهير:

«إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه»

ما هي الدوافع للهجرة في سبيل الله وأحكامها

للهجرة في سبيل الله دافعين أساسيين هما نصرة الدين, وإقامة الدين, وإليك تفصيل ذلك

نصرة الدين والدعوة إليه

رأينا في منهج دعوة إبراهيم عليه السلام لقومه كيف وصل الأمر بقومه إلى محاولة حرقه صلى الله عليه وسلم, وذلك برميه في النار, وكيف أن الله نجاه منها, وتوقفنا هنا.

اليوم سوف نعرف ماذا فعل بعد النجاة من النار.

أولا يجب التنبيه إلى أمرين, وهما أن قوم إبراهيم عليه السلام عاجزين عن إلحاق الأذى به صلى الله عليه وسلم, فقد حاولوا حرقه ولم يستطيعوا, لذلك إبراهيم كان في مأمن من قومه.

ثانيا إن المناظرة الكبيرة التي ألجأهم إليها أوصلت دعوته لكل قومه, فهم قد حشروا يوم المناظرة وبين الله ذلك في قوله :

﴿ قالوا فَأتوا بِهِ عَلى أَعيُنِ النّاسِ لَعَلَّهُم يَشهَدونَ ﴾ [الأنبياء: ٦١]

لذلك فقد بلّغ جميع قومه, والظاهر من سياق الآيات أنه لم يؤمن له سوى لوط عليه السلام وذلك لقوله سبحانه :

﴿ فَآمَنَ لَهُ لوطٌ وَقالَ إِنّي مُهاجِرٌ إِلى رَبّي إِنَّهُ هُوَ العَزيزُ الحَكيمُ ﴾ [العنكبوت: ٢٦]

إن قوم إبراهيم عليه السلام رأوا من الآيات ما يكفي وزيادة ليؤمنوا لو كانت بهم حياة, فقد :

- بيّن لهم إبراهيم بطلان ما يعبدون من دون الله بالأدلة العقلية
- بيّن لهم إبراهيم بطلان ما يعبدون بالأدلة الحسية حيث كسرهم ولم يستطيعوا الدفاع عن أنفسهم.
- بيّن لهم عجزهم عن الدفاع عن آلهتهم بالمنطق فلجؤوا إلى العنف
- بيّن صدق كونه رسول من عند الله بدليل أن الله نجاه من النار

كل هذه الآيات وكأنها لا شيء عند قومه, فهم لم يؤمنوا, ولن يؤمنوا, فماذا يفعل إبراهيم عليه السلام؟!

كان بإمكان إبراهيم عليه السلام أن يقضي بقية حياته بينهم فقد أعذر إلى الله في شأنهم وأقام عليهم الحجة مرارا, وهو في بقاءه آمن لا يخشى إلا الله قادر على إظهار دينه والدعوة إليه دون أن يلحقه أي أذى فقد عجزوا أن يؤذوه فهو في حماية الله.

لكن ماذا سيفيد الدعوة بقاءه بينهم وهم كالموتى لا ينفع معهم شيء ؟!

بكل تأكيد لن يفيد الدعوة بقاؤه معهم لأنهم قوم قد طبع على قلوبهم فلن يؤمنوا أبدا, لذلك قرر الهجرة إلى الله عز وجل وقال :

﴿ وَقالَ إِنّي ذاهِبٌ إِلى رَبّي سَيَهدينِ ﴾ [الصافات: ٩٩]

إن في اتخاذ قرار الهجرة, قرار آخر أساسي في ملة إبراهيم عليه السلام وهو اعتزال المشركين, وقد عبر الله عنه في قوله حاكيا عن إبراهيم:

﴿ وَأَعتَزِلُكُم وَما تَدعونَ مِن دونِ اللَّهِ وَأَدعو رَبّي عَسى أَلّا أَكونَ بِدُعاءِ رَبّي شَقِيًّا ﴾ [مريم: ٤٨]

فالهجرة كانت لاعتزال هؤلاء المشركين المعاندين الذين لا تنفع معهم حجة عقلية ولا حسية, وأيضا لإيصال الدعوة إلى الله عز وجل إلى قوم آخرين لعلها تؤتي ثمارا معهم.

إذا رجعنا لسيرة الحبيب صلى الله عليه وسلم نجده أيضا هاجر لنفس الدافع أي لنصرة الدين الدعوة إليه

وذلك لكون الدعوة إلى الله عز وجل أصبحت عمليا متوقفة في مكة نتيجة للحرب الشرسة التي تمارس ضدها, فلم يعد هناك من يسلم من المجتمع المكي الصغير, ومن ثم بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يبحث عن مُهاجَر يهاجر إليه يستطيع من خلاله تبليغ رسالته .

رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يهاجر لدواعي أمنية وإنما بهدف خدمة الدين والدعوة إليه.

هذا يعني أنك أيها المسلم عليك أن تهاجر في سبيل الله إذا اقتضت مصلحة الدعوة ذلك وتذكر البيعة مع الله :

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشتَرى مِنَ المُؤمِنينَ أَنفُسَهُم وَأَموالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقاتِلونَ في سَبيلِ اللَّهِ فَيَقتُلونَ وَيُقتَلونَ وَعدًا عَلَيهِ حَقًّا فِي التَّوراةِ وَالإِنجيلِ وَالقُرآنِ وَمَن أَوفى بِعَهدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاستَبشِروا بِبَيعِكُمُ الَّذي بايَعتُم بِهِ وَذلِكَ هُوَ الفَوزُ العَظيمُ ﴾ [التوبة: ١١١]

فالنفس ليست لك, والمال كذلك, فضع نفسك ومالك في خدمة دين الله حيث كانت

وتذكر أن الدين أمانة وربنا يقول لك:

﴿ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا لا تَخونُوا اللَّهَ وَالرَّسولَ وَتَخونوا أَماناتِكُم وَأَنتُم تَعلَمونَ ﴾ [الأنفال: ٢٧]

كذلك من نصرة الدين تكثير سواد المسلمين إن وجدت لهم جماعة وذلك بالهجرة إليهم والانتماء جغرافيا لهم, يقول ربنا عز وجل:

﴿ وَالَّذينَ آمَنوا وَهاجَروا وَجاهَدوا في سَبيلِ اللَّهِ وَالَّذينَ آوَوا وَنَصَروا أُولئِكَ هُمُ المُؤمِنونَ حَقًّا لَهُم مَغفِرَةٌ وَرِزقٌ كَريمٌ۝وَالَّذينَ آمَنوا مِن بَعدُ وَهاجَروا وَجاهَدوا مَعَكُم فَأُولئِكَ مِنكُم وَأُولُو الأَرحامِ بَعضُهُم أَولى بِبَعضٍ في كِتابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيءٍ عَليمٌ ﴾ [الأنفال: ٧٤-٧٥]

إقامة الدين

إن المسلم إذا كان عاجزا عن إقامة دينه في بدل ما, كأن يفرض عليه عبادة غير الله كما هي الحال في أغلب الذين يعيشون تحت حكم الكافر فإنه في هذه الحالة تجب عليه الهجرة إلى أرض الله الواسعة حيث يمكنه أن يقيم دينه, إذا كان يستطيع الهجرة, وذلك لقوله سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّ الَّذينَ تَوَفّاهُمُ المَلائِكَةُ ظالِمي أَنفُسِهِم قالوا فيمَ كُنتُم قالوا كُنّا مُستَضعَفينَ فِي الأَرضِ قالوا أَلَم تَكُن أَرضُ اللَّهِ واسِعَةً فَتُهاجِروا فيها فَأُولئِكَ مَأواهُم جَهَنَّمُ وَساءَت مَصيرًا۝إِلَّا المُستَضعَفينَ مِنَ الرِّجالِ وَالنِّساءِ وَالوِلدانِ لا يَستَطيعونَ حيلَةً وَلا يَهتَدونَ سَبيلًا ﴾ [النساء: ٩٧-٩٨]

ولقوله سبحانه:

﴿ يا عِبادِيَ الَّذينَ آمَنوا إِنَّ أَرضي واسِعَةٌ فَإِيّايَ فَاعبُدونِ ﴾ [العنكبوت: ٥٦]

ولا يتصور بحال من الأحوال بقاء المسلم بين الكفار إلا إذا كان عاجزا عن الهجرة, وهو مع عجزه يدعو الله أن يخرجه من بين الكفار الذين لا يطيق قلبه البقاء معهم كما أخبرنا الله عنه في قوله:

﴿ وَما لَكُم لا تُقاتِلونَ في سَبيلِ اللَّهِ وَالمُستَضعَفينَ مِنَ الرِّجالِ وَالنِّساءِ وَالوِلدانِ الَّذينَ يَقولونَ رَبَّنا أَخرِجنا مِن هذِهِ القَريَةِ الظّالِمِ أَهلُها وَاجعَل لَنا مِن لَدُنكَ وَلِيًّا وَاجعَل لَنا مِن لَدُنكَ نَصيرًا ﴾ [النساء: ٧٥]

لذلك راجع نفسك في هذه المسألة إن لم تكن هاجرت بالفعل, واعلم أن الهجرة في سبيل الله من صميم ملة إبراهيم عليه السلام.

فضائل الهجرة في سبيل الله

الهجرة في سبيل الله من الأعمال الصعبة جدا, المرء فيها يترك أهله وأرضه ويهاجر إلى أرض هو بها غريب حيث لا أهل ولا صديق, لذلك فقد جعل الله لها فضائل كثيرة بعضها في الدنيا قبل الآخرة, وبعضها في الآخرة ولنقف على بعض منها

المنعة والسعة

إن أكثر شيء يجعل المرء يتمسك بأرضه هو المنعة، حيث تتوفر له الحماية، والسعة في الرزق نظرا لأعماله التي يمارسها، ولذلك إذا فقدت أحدى هاتين الحاجتين، الأمن والسعة في الرزق، فإن المرء يبدأ بالهجرة غالبا

ففي البلدان التي بها حروب أهلية يهاجر الناس طلبا للأمن، كما أنه في البلدان الفقيرة يهاجر الناس طلبا للرزق .

سبحان الله جمع الله هذين المطلبين لمن هاجر في سبيله وليس في سبيل الدنيا فقال:

﴿ وَمَن يُهاجِر في سَبيلِ اللَّهِ يَجِد فِي الأَرضِ مُراغَمًا كَثيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخرُج مِن بَيتِهِ مُهاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسولِهِ ثُمَّ يُدرِكهُ المَوتُ فَقَد وَقَعَ أَجرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكانَ اللَّهُ غَفورًا رَحيمًا ﴾ [النساء: ١٠٠]

فقطع الله بوعده هذا كل عذر لمن تقاعس عن الهجرة في سبيل الله، فإن كان يخشى على نفسه بعد الهجرة في سبيل الله فإن الله وعده بالأمن، وإن كان يخشى الفاقة، فإن الله وعده بالسعة، فلم يبق له عذر.

والأهم من ذلك أنه إذا مات وهو مهاجر إلى الله سبحانه وتعالى، فقد وقع أجره على الله، فلا تسل عن أجر أعظم بعد ذلك.

الرحمة والمغفرة

﴿ إِنَّ الَّذينَ آمَنوا وَالَّذينَ هاجَروا وَجاهَدوا في سَبيلِ اللَّهِ أُولئِكَ يَرجونَ رَحمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفورٌ رَحيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٨]

﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذينَ هاجَروا مِن بَعدِ ما فُتِنوا ثُمَّ جاهَدوا وَصَبَروا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعدِها لَغَفورٌ رَحيمٌ ﴾ [النحل: ١١٠]

الجنة والفوز العظيم

﴿ فَاستَجابَ لَهُم رَبُّهُم أَنّي لا أُضيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنكُم مِن ذَكَرٍ أَو أُنثى بَعضُكُم مِن بَعضٍ فَالَّذينَ هاجَروا وَأُخرِجوا مِن دِيارِهِم وَأوذوا في سَبيلي وَقاتَلوا وَقُتِلوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنهُم سَيِّئاتِهِم وَلَأُدخِلَنَّهُم جَنّاتٍ تَجري مِن تَحتِهَا الأَنهارُ ثَوابًا مِن عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسنُ الثَّوابِ ﴾ [آل عمران: ١٩٥]

﴿ الَّذينَ آمَنوا وَهاجَروا وَجاهَدوا في سَبيلِ اللَّهِ بِأَموالِهِم وَأَنفُسِهِم أَعظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولئِكَ هُمُ الفائِزونَ ﴾ [التوبة: ٢٠]

﴿ وَالَّذِينَ هاجَروا فِي سَبيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلوا أَو ماتوا لَيَرزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيرُ الرّازِقينَ۝ لَيُدخِلَنَّهُم مُدخَلًا يَرضَونَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَليمٌ حَليمٌ ﴾ [الحج: ٥٨-٥٩]

فهل بعد هذا كله يمكن أن تتلكأ في الهجرة في سبيل الله؟!